الـــدَّارُ الآخِـــرَةُ

(١٣)

أَشْرَاطُ السَّاعَةَ

(مُقَدِّمَة)

الشيخ/ندا أبو أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الدَّارُ الآَخِرَة
أَشْـرَاطُ السَّـاعـة

تمهيد

إِنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب :٧٠،٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

مقدمة:

إن هذا الموضوع من الأهمية بمكان خصوصًا في هذا الزمان، حيث تكلَّم فيه الرويبضة ومَن لا علم له؛ فأتى بالأعاجيب، وكثر اللغط والعبث بأشراط الساعة، وخرجت علينا المطابع بعشرات الكتب والمقالات، التي تتحدث عن أشراط الساعة **من غير دليل صحيح**، بل كلها مرويات شاذة غريبة، وآثار مهجورة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات.

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال كما في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

" يكون في آخر الزمان دجَّالُون كذَّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم لا يضلونكم ولا يفتنُونكم ".

وهكذا صار الخوض في أشراط الساعة – وهو من الأمور الغيبية – كلًا مباحًا يتناوله كل من هبَّ ودبَّ، فأفرز مجازفات وشطحات تقشعر منها الجلود، والعجيب تهافُت العامة عليها، وأحبُّ أن أنبِّه هنا على أمرٍ وهو أن غالب مَن يتكلم عن أشراط الساعة والملاحم، فإنه ينقل من كتاب "الفتن" لنعيم بن حماد الخزاعي، وقد تكلَّم العلماء في نعيم:

فقال الذهبي –رحمه الله–: نعيم من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركن النفس إلى رواياته.

وقال أيضًا: وقد صنف كتاب "الفتن" فأتى فيه بعجائب ومناكير.

وقال الدارقطني –رحمه الله–: إمام في السُّنَّة كثير الوهم.

وقال ابن حجر–رحمه الله–: صدوق يخطئ كثيرًا، فقيه عارف بالفرائض.

وقال مسلمة بن قاسم: كان صدوقًا، وهو كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة في "الملاحم" انفرد بها.

لذا أحاول جاهدًا الحديث عن أشراط الساعة الصغرى والكبرى بعيدًا عن الضعيف والموضوع وكل مبتدع دخيل، واستخلاص الصحيح منها وبيان معانيها، وهذا شأن كل مَن يتكلم عن الأمور الغيبية، وحتى لا يدخل تحت قول رب البرية: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء:٣٦]

وفي حديث جبريل المشهور أنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، *وفي الحديث أن النبي ﷺ قال:* **"فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".** فعدَّ أمارات الساعة من جملة الدين، وأمور الدين توقيفية لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي الشريف.

وصدق القاسم بن محمد -رحمه الله- حيث قال: "لأن يعيش الرجل جاهلًا، خير من أن يقول على الله ما لا يعلم".

ومن التقوُّل على الله بغير علم؛ أن تنزل أحاديث تتكلَّم عن أشراط الساعة وأمور مستقبلية على وقائع وأحاديث بغير مستند شرعي، ولا الرجوع إلى أهل العلم الثقات،

والأمثلة على ذلك كثيرة منها مثلًا: -

١- أن البعض فسَّر الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر ابن عبد الله -رضي الله عنهما- فقال: **"يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز[1] ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشأم ألا يُجبى إليهم دينار ولا مُدى. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم".**

فقال البعض: "هذه العلامة وقعت عام ١٩٩٠ م - ١٤١٠ هـ، يوم حوصر العراق اقتصاديًا من قبل أمريكا (العجم)، وإن كان هذا الأمر محتمل إلا أن هذه الطريقة في إنزال الأحاديث على وقائع الحياة فيه شيء من القصور والمزالق، خاصة مع الجزم بها".

٢- وكذلك ما ذكره فهد السالم صاحب كتاب "أسرار الساعة": "أن الدَّجَّال يُعطى الرئاسة في إيران قبل ظهور المهدي، ثم بيَّن أنه محمد خاتمي، ولقبه "**آية الله جورباتشوف**".

وذكر في كتابه "أشراط الساعة وهجوم الغرب": "أن السفياني المذكور في الأحاديث هو "**الملك حسين ملك الأردن الأسبق**"؛ وقد تُوفِّي حسين ملك الأردن عام ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ".

٣- وذكر سعيد أيوب مؤلف كتاب "المسيح الدَّجَّال":

"أن المهدي المنتظر هو "**صدام حسين الرئيس العراقي الأسبق**"؛ وقد قتل صدَّام عام ٢٠٠٧م - ١٤٢٧هـ - في العاشر من ذي الحجة".

٤- وكذا ذكر أمين محمد جمال في كتابه "هرمجدون":

"أن السفياني الذي ورد في بعض الأحاديث هو "**صدام حسين**"

٥- وأعظم من ذلك ما حدَّده بعض العلماء لعمر الدنيا، فقال بعضهم: ٩٠٠ سنة،

وقال آخرون: "١٠٠٠ سنة؛ استنادًا لفهمهم لبعض الأحاديث، وممَّن أشْتُهر عنه ذلك الإمام السيوطي، والسخاوي قديمًا، وحديثًا أمين محمد جمال في كتابه "عمر أمة الإسلام"

وقبل الكلام عن أشراط الساعة، لنا وقفات.

١- القفيز: نوع من المكاييل، كان يستعمله أهل العراق.

الوقفة الأولى: معنى أشراط الساعة[1]:

معنى أشراط: مفردها: الشَرَطُ بفتحتين: وهو العلامة، **وأشراط الشيء:** أوائله، ومنه: شُرَط السلطان: وهم نُخْبَة أصحابه الذين يقدِّمهم على غيرهم من جنده. (لسان العرب:٧/٣٢٩)، (النهاية لابن الأثير:٢/٤٦٠)

وأشراط الساعة: يعني علامتها، **قال تعالى:** ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨] (انظر "مختار الصحاح": ص ٣٢٤)

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– كما في "فتح الباري" (١٣/٧٩): هي العلامات التي يعقبها قيام الساعة"، وقد أطلق بعض العلماء على الأشراط اسم الآيات، والآيات: هي الأمارات الدالة على الشيء، كالأمارات التي تنصب في الصحراء، دالة على الطريق، أو توضع على الشاطىء؛ لتهدي السفن، أو توضع في طريق المسافرين، لتدلَّهم على ما يقصدون من الأماكن. اهـ.

قال الطيبي –رحمه الله–: **الآيات:** أماراتٌ للساعة

ومعنى الأمارات لغة: العلامات الدالة على الشيء، ومفردها: أمارة.

اصطلاحًا: الأحداث التي أخبر عنها الله ورسوله ﷺ بوقوعها في آخر الزمان، تسبق الساعة وتدل على قدومها. إما على قربها، وإما على حصولها، **فمن الأمثلة على قربها**: الدَّجَّال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف، **ومن الأمثلة على حصولها**: الدُّخَّان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة والنار التي تحشر الناس. (فتح الباري: ١٣/٣٥٢)

- **ومعنى الساعة لغة:** جزء من أجزاء الليل والنهار، جمعها: "**ساعات، وساع**"، والليل والنهار معًا أربع وعشرون ساعة.

والساعة اصطلاحًا: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وتنتهي فيه حياة المخلوقات، ويضطرب الكون، وسُمِّيَت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة؛ فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.

وقال الراغب في "المفردات": **الساعة:** جزء من أجزاء الزمان، ويُعَبَّر به عن القيامة،

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، **وقال سبحانه:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف:١٨٧]

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٨٥]

١- انظر القيامة الصغرى للشيخ/ عمر سليمان الأشقر: ص ١٧.

الخلاصة:

الأشراط: جمع شَرَط، والشرط: العلامة، وأشراط الساعة أي: علاماتها وأسبابها، فهي العلامات التي يكون بعدها قيام الساعة.

– **والساعة:** الوقت الذي تقدم فيه القيامة، وسُمِّيَت الساعة: لأنها تفاجئ الناس في ساعة؛ فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة. (انظر "غريب الحديث" لابن الأثير:٢/٤٦٠)

وقيل إن الساعات ثلاث:

١– **الساعة الكبرى:** هي بعث الناس للمحاسبة، ***وهي التي أشار إليها بقوله*** ﷺ:

" **لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يظهرَ الفُحْشُ والتَّفَحُّشُ، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة** ".

(رواه الإمام أحمد من رواية عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما).

تنبيه:

وإذا أُطلِقت الساعة في القرآن الكريم فالمراد بها القيامة الكبرى: **قال تعالى:**

﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ**﴾ [الأحزاب:٦٣] أي: عن القيامة، **وقال تعالى:** ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**﴾ [القمر:١] أي: اقتربت القيامة.

٢– **والساعة الوسطى:** وهي موت أهل القرن الواحد، ***وذلك نحو ما رُوِيَ أن النبي*** ﷺ ***رأى عبد الله بن أُنَيس***[1] ***فقال:*** " **إن يَطُلْ عُمر هذا الغلام لم يمُتْ حتى تقُومَ السَّاعة** ".

وعند البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قالت:

" **كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: إن يعش هذا لم يدركه الهرم، قامت عليكم ساعتكم**".

وجاء في "فتح الباري" (٣٦٣/١١): أن المراد بساعتهم: موتهم، فهو ساعة المخاطبين.

وقال ابن كثير –رحمه الله– كما في "البداية والنهاية" (٢٤/١) في الحديث السابق:

"والمراد: إنخرام قرنهم، ودخولهم في عالم الآخرة، فإن مَن مات فقد دخل في حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: "**مَن مات فقد قامت قيامته**"، وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح.

١- قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "إن ما ذكره عن عبد الله بن أُنَيْس لم نقف عليه، ولا هو آخر مَن مات من الصحابة هرمًا". اهـ (فتح الباري:٣٦٤/١١).

٣- **والساعة الصغرى**: وهي موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته، **وهي المشار إليها بقوله:** ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام:٣١]، ومعلوم أن هذه الحسرة تنال الإنسان عند موته؛ **لقوله تعالى:** ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المنافقون:١٠] **وعلى هذا قوله:** ﴿قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ [الأنعام:٤٠]

وقال القرطبي -رحمه الله-: "قال علماؤنا: واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته[١]، ولكنها قيامة صغرى وكبرى، **فالصغرى**: هي ما يقوم بكل إنسان في خاصته: من خروج روحه، وفراق أهله، وانقطاع سعيه، وحصوله على عمله إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر، **والقيامة الكبرى**: هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة. (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)

وقد ذكر الله تعالى القيامتين الصغرى والكبرى في القرآن الكريم، فتجده يذكر القيامتين في السورة الواحدة، كما في سورة "الواقعة"، فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى، **فقال تعالى:**

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة:١-٧]

ثم في آخرها ذكر القيامة الصغرى: وهي الموت، **فقال تعالى:** ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٥]

وذكر القيامتين -أيضًا- في سورة القيامة، **فقال** ﷻ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:١] وهذه القيامة الكبرى، ثم ذكر الموت، **فقال:** ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة:٢٦] وهذه القيامة الصغرى.

١- أي أن مَن مات فقد دخل في حكم الآخرة.

الوقفه الثانية: الساعة آتية لا ريب فيها[1]:

وقبل الكلام عن هذه الوقفة؛ لابد أن نعلم أن الإيمان بيوم القيامة أصل من أصول الإيمان **كما قال تعالى:** ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٦٢]

وقد جاء في حديث جبريل ﷺ الطويل وفيه: **"أخبرني عن الإيمان؟ فقال النبي ﷺ: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر...". الحديث.**

ثم جاء القرآن يؤكد على حقيقة الساعة، وأنها آتية لا ريب فيها، **فقال تعالى:** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج:٦،٧]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]

فالله تعالى يؤكد في هذه الآية على وقوع الساعة بمؤكدات منها: "إن" و"اللام"

- ***بل يقسم النبي ﷺ بأنها آتية؛*** **فقال تعالى:**

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ (سبأ:٣)

وقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، وقد عبَّر الله بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة. (تفسير ابن كثير:٢/٥٤٣)

فالساعة آتية، ولا بد من الرجوع إلى الله تعالى والعرض عليه؛

كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم:١١]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤]

وأُحذِّر نفسي وإياكم من هذا اليوم العصيب، **وأُذَكِّركم بقوله تعالى:**

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان:٣٣]

١- القيامة الصغرى لعمر سليمان الأشقر ص ١١٩،١٢٠.

الوقفة الثالثة: الساعة قريبة:

أعلن رب العزة لعباده في كتابه المنزل منذ أربعة عشر قرنًا أن الساعة قد اقتربت، وآن أوان وقوعها، فقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١]

وانشقاق القمر إحدى الأمارات الدالة على قرب وقوعها، ولما كانت الساعة قد اقتربت قربًا عظيمًا؛ فإن القرآن يصور أنها أتت وحضرت ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين، كفَضْلِ إحداهما على الأخرى، وضمَّ السَّبَابَة والوُسْطَى ".

إن بعثة رسول الله ﷺ من أشراط السَّاعة، وكذلك موته ﷺ ؛ ***فقد قال ﷺ لعوف بن مالك ﷺ كما في "صحيح البخاري":*** **"أُعْدُدْ ستًا بين يدي الساعة: مَوْتِي، ....".** الحديث.

واعلم أخي الحبيب أن كل ما هو أتٍ قريب.

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني -رحمه الله-:

والإخبار عن قربها – أي: الساعة – من مبعثه ﷺ يحتمل أنه إخبار عن قربها عند الله تعالى، وإن كانت بعيدة في المدة؛ ردًّا لقول المشركين بأنه لا قيام لها، **وإليه أشار قوله تعالى:**

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦-٧]، ***فإنه أخرج عبد بن حميد عن الأعمش:*** ﴿يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ***قال:*** الساعة. اهـ

وممَّا يدل على اقتراب الساعة قول النبي ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد والطبراني:

"بُعِثْتُ أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبقني".

(قال الحافظ- رحمه الله- في "الفتح"(١١/٣٤٨): وسنده حسن)

فهذا الحديث يدل على شدة قربها من بعثته ﷺ، حتى خشي سبقها له، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على شدة القرب.

وقفة:

لو كان البشر يوقنون بما أنزل الله بقلب مبصر، وعقل حاضر مدرك؛ لَهَالَهُم الأمر، وملك عليهم نفوسهم، ولذلك كان حالهم عجبًا، الخطر قريب؛ ومع ذلك فإنهم غافلون عن الهول الذي يكاد يطبق عليهم، ويحيط بهم ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:١-٣]؛ ولذا فإنه قد كثر في القرآن تحذير العباد من الساعة، والأمر بالاستعداد لها، وعبَّر عنها بالغد، وهو اليوم التالي لليوم الذي تعيش فيه ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]

ومع هذا الإنذار باقتراب الساعة وتحذير الناس من نسيان هذه الحقيقة، وحثهم على الاستعداد لتلك اللحظة؛ إلا أنك تجد الناس قد غرَّتهم الأماني، فتجدهم أكثر حرصًا على الدنيا، وأشد غفلة عن الآخرة، ***وهذا ما أخبر به الحبيب النبي ﷺ ، فقد أخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:***

قال رسول الله ﷺ: **" اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصًا، ولا يزدادون من الله إلا بُعدًا "**. (صحيح الجامع:١١٤٦)

تنبيه: عند الكلام على اقتراب الساعة ينبغي أن نتنبه إلى النسبية الزمانية

إن ما ورد في نصوص الوحيين من قرب قيام الساعة، وظهور أماراتها لا يعني أنها على الأبواب، فإن القرب والبعد كلاهما أمر نسبي، ومَن يدري لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين لا يعلمها إلا الله، ولعلها أقرب مما نتصور؟! **قال تعالى**: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى:١٧].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣] وفي معناهما في سياق الرد على منكري البعث والإعادة **قوله تعالى**: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥١]، وفي التعبير عن قربه بـ (لعل)، و(عسى) ما يناسب عدم إطْلَاع الله رسوله ﷺ على وقته، ولا شك أن قرب ذلك اليوم الذي مقداره من مبدئه إلى غايته خمسون ألف سنة مناسب له؟ ولما تقدَّم من عمر الدنيا، وبقي منه، فالقرب والبعد من الأمور النسبية، **والمراد**: قربها بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، ولا يعلمه إلا الله تعالى.

(تفسير المنار:٩/٣٩٣)

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: **" رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلي الإبهام، وقال: "بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتين "**. (البخاري ومسلم)

وفي رواية أخرى عند البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال:

" بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين: ويشير بأصبعين فيمدهما ".

والمعنى أننا لو قدَّرنا عمر الزمن بالأصبع الوسطى، فإن ما بقي منه عند مبعث الرسول ﷺ يكون بمقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة، وما مضى منه بمقدار السبابة من الأصبع الوسطى، قد يكون الباقي في حِسِّ البشر طويلًا؛ لأن إدراكهم محدود، ونظرتهم قاصرة، ولكنه في ميزان الله قريب وقصير

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، **﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾** [النحل:٧٧]

والأحاديث النبوية الشريفة تشير إلى هذه الحقيقة التي بينَّاها هنا، ***ففي "صحيح البخاري ومسلم" عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:*** **" إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس".**

وفي لفظ: **" إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس".**

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: **" كنا جلوسًا عند النبي ﷺ والشمس على قُعَيْقِعان[1] بعد العصر، فقال: ما أعماركم من أعمار مَن مضى إلا كما بقي النهار وفيما مضى منه[2]".**

١- قُعَيْقِعان: بضم القاف الأولى وكسر الثانية، بلفظ التصغير: وهو جبل بمكَّة في جنوبها بنحو اثنى عشر ميلًا، وسمى قُعَيْقِعان: لأن جُرْهُمًا لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك.

٢- ويظهر أن كلام النبي ﷺ هذا كان في حجة الوداع أو في غزوة فتح مكة، والأول أظهر، وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله ابن عمر -رضي الله عنهما-: "أنه كان واقفًا بعرفات، فنظر إلى الشمس حين تدلَّت مثل التُّرس للغروب؛ فبكى واشتد بكاؤه، فقال له رجل عنده: يا أبا عبد الرحمن، قد وقفت معي مرارًا لم تصنع هذا، فقال: ذكرت رسول الله ﷺ وهو واقف بمكاني هذا، فقال: "أيها الناس. إنه لم يبقَ من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه"

إن الحديث يمثل الوجود الإنساني بيوم من أيام الدنيا، ابتدأ وجود الأمة الإسلامية فيه عند العصر، فيكون الماضي من عمر الوجود الإنساني بنسبة ما مضى من ذلك اليوم من الفجر إلى العصر، ويكون الباقي من عمر الزمن حتى تقوم الساعة كما بين العصر والمغرب، وذلك أن النصوص صريحة الدلالة على أننا آخر الأمم وجودًا، وأن نهاية وجود هذه الأمة يتحقَّق بقيام الساعة.

والأمر الذي ينبغي أن ينتبه إليه أن الباقي من الدنيا قليلٌ بالنسبة لما مضى منها، فإنك إذا وضعت لمَن لك عليه دين أجلًا طويلًا، كأن تؤجله خمسين عامًا مثلًا، فإذا انقضى من الخمسين خمسة وأربعون، فيكون موعد السداد قد اقترب بالنسبة لما مضى من الموعد المضروب.

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم وكذا الإمام أحمد في "مسنده" عن خالد بن عمير رضي الله عنه قال:

" خطبنا رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذَنَتْ بِصرمٍ[1] وولَّت حَذَّاء[2] ولم يبقَ منها إلا صُبَابَةٌ[3] كصُبَابَةِ الإناءِ، يتصابُّهَا صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دارٍ لا زوال لها فانتقلوا منها بخير ما يحضرنكم".

فإذا كان رسول الله ﷺ قد قال هذا قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، فهمنا من هذه النصوص وغيرها أن قرب الساعة قُرْبٌ نِسْبِيٌّ، أي: هي قريبة بالنسبة إلى عمر الدنيا كلها.

وقال الله تعالى في شأن الساعة: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:١٨٧]

وهذا يُفَسِّره قول رسول الله ﷺ على لسان عيسى عليه السلام الساعة وقرب وقوعها: إنها

" كالحامل المُتِمِّ التي لا يدري أهلها متى تفجؤُهُم بِوِلادِها ليلًا أو نهارًا ".

(رواه الإمام أحمد وصحَّحه أحمد شاكر -رحمه الله-)

"والقول الجامع للآية، والحديث: إن الثقل هو الاقتراب بصورة ثابتة للحق على الرغم من تغير مراحل هذا الاقتراب؛ تمامًا مثل الجنين الذي يتغير كل يوم من حالٍ إلى حال، ولكنه مُتَّجِه نحو الولادة، فلا يخرج التغير اليومي على التوجه للولادة، وكما لا تنفصل الولادة عن لحظة الجماع الأولى، لا تنفصل الساعة عن بدء الخلق.

(انظر القيامة الصغرى لعمر سليمان الأشقر: ص ١٢١ -١٢٣، فقه أشراط الساعة لمحمد بن إسماعيل المقدم)

١- صَرْم: انقطاع وانقضاء وذهاب.
٢- حَذَّاء: خفيفة سريعة.
٣- الصُّبَابة: البقية اليسيرة من الشراب، تبقى في أسفل الإناء.

الوقفة الرابعة: لا يعلم متى الساعةُ إلا اللّه وَحْدَهُ:

علمُ الساعة غيبٌ لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد دلَّ على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ففي حديث جبريل المشهور أنه قال لرسول الله ﷺ:

" فأخْبِرْني عن الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ".

(رواه البخاري)

وكان السائل جبريل متمثلًا في صورة بشر، فإذا كان أعلى الملائكة منزلة، وهو جبريل، وأعلى البشر منزلة وهو محمد ﷺ لا يعلمان متى تكون؛ فحري بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

وقد صرَّح القرآن أن وقت وقوعها من خصائص علم الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال:

"مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]"

(جامع العلوم والحكم ص٣٧)

لذا فإنه لم يُطْلِع أحدًا على وقت وقوعها، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا

قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾، **وقوله ﷻ:** ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٤]، فيه إيذان بأن ما هو من شأن الرب لا يكون للعبد، فهو تعالى قد أرسل نبيه منذرًا ومبشرًا، لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها.

والإنذار إنما يُناطُ بالإعلام بالساعة وأهوالها، والنار وسلاسلها وأغلالها، ولا تتم الفائدة منه إلا بإبهام وقتها، ليخشى أهل كل زمن إتيانها فيه، والإعلام بوقت إتيانها، وتحديد تاريخها ينافي هذه الفائدة.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، معناه: لا يكشف حجاب الخفاء عنها، ولا يظهرها في وقتها المحدد عند الرب تعالى إلا هو، فلا وساطة بينه وبين عباده في إظهارها، ولا في الإعلام بميقاتها، وإنما وساطة الرسل – عليهم السلام – في الإنذار بها؛ **فمن ثَمَّ قال تعالى:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾

[النازعات: ٤٢-٤٥] (تفسير المنار:٩/٣٩٠)

وممَّا يدل على هذا أيضًا ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" لقيت ليلةَ أسري بي إبراهيمَ وموسى وعيسى، قال: فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علمَ لي بها، فردُّوا الأمر إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فردوا الأمر إلى عيسى، فقال: أما وَجْبَتُهَا، فلا يعلمُها أحدٌ إلا الله، وفيما عَهِدَ إليَّ ربي ﷻ: أن الدَّجَّال خارجٌ، قال: ومعي قضيبان فإذا رآني ذابَ كما يذوبُ الرصاص، قال: فيهلكُهُ الله ". - *وفي رواية:* "ذاب كما يذوب الملحُ في الماء ".**

(ضعَّفه الألباني في "ضعيف الجامع":٤٧١٢) و(صححه أحمد شاكر في "المسند":٣٥٥٦)

فإبراهيم وموسى – عليهما السلام – لا يعلمان متى تقوم الساعة، أما عيسى عليه السلام فردَّ علمها إلى الله، وتكلم عن أمر عُهِدَ إليه من رب العالمين، فأرشد إلى أنه علامة من علامات الساعة الكبرى.

فالحاصل: أن علم الساعة لا يعلمه أحد إلا الله وحده.

تنبيه:

ذهب البرزنجي في كتاب "الإشاعة" إلى أن النبي ﷺ علم وقت الساعة، ونُهِيَ عن الإخبار بها، وهذا غلطٌ منه؛ فإن وقوع الساعة غيبٌ لا يعلمه إلا الله تعالى وحده.

الوقفة الخامسة: الحكمة من وراء إخفاء وقوعها:

يقول فضيلة الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر -رحمه الله- في كتابه "القيامة الصغرى"(ص ١٢٦): قد يتساءل البشر قائلين: "ما الحكمة من وراء إخفاء الوقت الذي تحل فيه الساعة، وتقوم فيه القيامة؟ **والجواب:** إن إخفاءها له تعلق بصلاح النفس الإنسانية، فوقوعها غيب، والأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفجوه، ويحل بساحته؟ يجعل المرء مترقبًا له باستمرار".

يقول صاحب الظلال -رحمه الله-:

"والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي، فلابد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كلُّ شيء مكشوفًا لهم، وهم بهذه الفطرة – لوقف نشاطهم – وأسنت حياتهم، فوراء المجهول يجرون، فيحذرون، ويأملون، ويجربون، ويتعلمون. ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم، وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد يحفظهم من الشرود، فهم لا يدرون متى تأتي الساعة، فهم من موعدها على حذر دائم، وعلى استعداد دائم، ذلك لمَن صحَّت فطرته واستقام، فأما مَن فسدت فطرته واتبع هواه فيغفل ويجهل، فيسقط ومصيره إلى الردى. اهـ

(اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع وإعداد/ أحمد فائز: ص ٩٨)

ونقل الشيخ محمد رشيد رضا عن الألوسي -رحمه الله- قوله:

"وإنما أخفى سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، فإنه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك. (تفسير المنار:٩/٣٩٣)

وقال أيضًا في نفس المصدر (٩/٣٩١):

"فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى في أعمالهم؛ فيلتزموا فيها الحقَّ، ويتحروا الخيرَ، ويتقوا الشرور والمعاصي، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدالَ، والقيل والقال. اهـ.

الوقفة السادسة: لا يجوز الانشغال بتحديد وقت الساعة:

يقول فضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم في كتابه "فقه أشراط الساعة" (ص ٢٢٧):

"بادئ ذي بدء نقررُ أن الخوض في هذه القضية ممَّا لا يترتب عليه عمل، إذ يشبه السؤال عنها قول السائل لرسول الله ﷺ: "متى الساعةُ؟" ***فأجابه ﷺ جوابه الحكيم: بخلاف ما يترقب فقال:***

"وما أعددت لها؟". والذي يعنيه النبي ﷺ: أن يستعدَّ هذا الرجل للقاء الله إذا حضر أجله بالعمل الصالح.

قال الإمام العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير -رحمه الله-:

اعلم أن مقدار الدنيا لا يعمله إلا الله، ولم يرد نص من كتاب ولا سنة في بيان ذلك، ووردت أحاديث وآثار ما لا يحصل بها جزم بأنه مقدار معين. اهـ. (رسالة شريفة: ص ٣٠)

- ومع هذا خاض البعض في هذا الأمر وغلطوا، كما فعل الطبري - رحمه الله وغفر له-، فإنه استظهر من بعض النصوص أن فناء الدنيا يكون بعد خمسمائة عام من البعثة المحمدية.

(انظر مقدمة ابن خلدون: ص ٥٩٠)

وهاهو قد مرَّ أكثر من تسعمائة عام على الأجل الذي ضربه، ولم يصدق ظنه.

- وجمع السهيلي الحروف المقطعة في أوائل السور، وحذف المكرَّر منها وأخذ عددها بحساب الجمل، وحدَّد بناء على ذلك أجلًا لا يبلغ بضع مئات من السنين. (انظر "لوامع الأنوار البهية": ٢/٦٦)

- وممَّن تكلَّم في هذا الأمر أيضًا السيوطي -رحمه الله- حيث استظهر في جزء سمَّاه "الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف"، واحتج بأحاديث لم تصح؛ ***منها ما رواه الضحَّاك بن زمل الجهني،*** ***قال:*** **" رأيت رؤيا قصصتها على رسول الله ﷺ.** ***فذكر الحديث وفيه:*** **"إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، وأنت في أعلاها درجة، فقال ﷺ: أما المنبرُ الذي رأيت سبع درجاتٍ، وأنا أعلاها درجة، فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرِها ألف ".**

وقال السيوطي -رحمه الله-:

والذي دلَّت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه القيم "المنار المنيف (ص ٨٠) أمورًا كلية، يُعْرَفُ بها كون الحديث موضوعًا، منها: مخالفته صريح القرآن، كحديث مقدار الدنيا، وأنها سبعة آلاف سنة، ونحن الآن في الألف السابعة، وهذا من أبين الكذب؛ لأنه لو كان صحيحًا، لكان كل واحدٍ عالمًا أنه بقي للقيامة من وقتنا هذا مائة وإحدى وخمسون سنة. اهـ.

علمًا بأن ابن القيم عاش في القرن الثامن الهجري

وقال ابن كثير -رحمه الله- كما في "البداية والنهاية" معلقًا على هذا الحديث:

"أنه لا يصح إسناده، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد وقت القيامة على التعيين لا يثبت إسناده".

وممَّن تعقَّب الإمام السيوطي الشيخ مرعي الكرمي في "بهجة الناظرين" قائلًا:

"وهذا مردود؛ لأن كل مَن يتكلَّم بشيء من ذلك، فهو ظنٌّ، وحسبانٌ، لا يقوم عليه برهان.

وقد بيَّن الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير-رحمه الله-:

"أن السيوطى أقام رسالته "الكشف" على آثار بواطيل، وجمع ما تضمنته من تواريخ، وحسابات، فبلغت معه مائتي سنة وثلاثًا وستين سنة، ***ثم قال الصنعاني:*** ونحن الآن في القرن الثاني عشر، ويضاف إليه مائتان وثلاث وستون سنة، فيكون الجميع أربعة عشرة مائة وثلاثة وستين، ***ثم قال متعقبًا السيوطي:*** وعلى قوله: " إنه لا يبلغ خمسمائة سنة بعد الألف"، يكون منتهى بقاء الأمة بعد الألف أربعمائة سنة وثلاثًا وستين سنة، ويتخرَّج منه أن خروج الدَّجَّال – أعاذنا الله من فتنته – قبل انخرام هذه المائة التي نحن فيها، وهي المائة الثانية عشرة من الهجره النبوية.

(رسالة شريفة: ص ٤٥، وتاريخ كتابتها سنة ١١٦٧ هـ)

وعقَّب على قول الصنعاني هذا القَنَّوجي فقال:

"وقد مضى إلى الآن على الألف نحوٌ من ثلاثمائة سنة، ولم يظهر المهدي، ولم ينزل عيسى! ولم يخرج الدَّجَّال! فدلَّ على أن هذا الحساب ليس بصحيح.

وقد نقل الحافظ ابن حجر -رحمه الله- أثناء شرحه لحديث: "بُعِثت أنا والساعة كهاتين" ***قول القاضي عياض حيث قال:*** "حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الأصبعين، كنسبة ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى، وأن جملتها سبعة آلاف سنة، واستند إلى أخبار لا تصح، وذكر ما أخرجه أبو داود في تأخير هذه الأمة نصف يوم، وفسَّره بخمسمائة سنة، فيؤخذ من ذلك أن الذي بقي نصف سُبع، وهو قريب ما بين السبابة والوسطى في الطول، ***قال:*** وقد ظهر عدم صحة ذلك، لوقوع خلافه، ومجاوزة هذا المقدار، ولو كان ذلك ثابتًا، لم يقع خلافه.

ثم قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

"وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد عياض إلى هذا الحين ثلاثمائة سنة، ***وقال ابن العربي:*** قيل: الوسطى تزيد على السبابة نصف سبعها، وكذلك الباقي من الدنيا من البعثة إلى قيام الساعة، قال: وهذا بعيدٌ، ولا يُعلم مقدار الدنيا، فكيف يتحصل لنا نصف سبع أمدٍ مجهول؟ فالصواب الإعراض عن ذلك "

(فتح الباري:١١/٣٥٠)

وممَّن خاض في هذا البحث: أمين محمد جمال الدين في كتابه "عمر أمة الإسلام":

وانتهى إلى أننا نعيش حقبة ما قبل النهاية، وهي مرحلة الاستعداد للفتن والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى.

ومما استدل به ما أخرجه البخاري بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: **" إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس".**

وفي رواية عند البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:

" إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ".

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "الفتح" (٤/٤٤٩): واستدل به على أن بقاء هذه الأمة يزيد على الألف؛ لأنه يقتضي أن مدة اليهود مدتى النصارى والمسلمين، وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك: ستمائة، وقيل: أقل، فتكون مدة المسلمين أكثر من ألف قطعًا.

ثم إن صاحب كتاب "عمر أمة الإسلام" يقول: إن مدة عمر اليهود تساوي مدتى عمر النصارى والمسلمين مجتمعتين، ومدة عمر النصارى هي ستمائة سنة، فإذا طرحنا مدة عمر النصارى ٦٠٠ سنة من ألفين – وهي مدة أهل الكتاب غلى بعثة محمد ﷺ – كان الناتج عمر أمة اليهود ٢٠٠٠- ٦٠٠ = ١٤٠٠ سنة، وتزيد قليلًا، وذكر أهل النقل والتاريخ (ولم يذكر مَن هؤلاء؟ ولا أين قالوا ذلك؟) أن هذه الزيادة تزيد عن المائة قليلًا؛ إذًا وبالتقريب، فإن عمر أمة اليهود يساوي ١٥٠٠ سنة. وحيث إن عمر أمة الإسلام يساوي عمر أمة اليهود مطروحًا منه عمر أمة النصارى، فيكون عمر أمة الإسلام ١٥٠٠ – ٦٠٠ = ٩٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **" إني لأرجو ألا تعجزَ أمتي عن ربها أن يؤخرهم نصف يوم، قيل لسعد رضي الله عنه: كم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة[1]".**

فعمر أمة الإسلام =٩٠٠ مضافًا إليها ٥٠٠ = ١٤٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

١- والحديث صححه الألباني في "الصحيحة": ١٦٤٣، دون زيادة، "قيل لسعد:" فإن في إسنادها انقطاعًا كما قال الحافظ في "الفتح":١١/٣٥١

ثم يستند محمد جمال إلى قول الإمام السيوطي في رسالته المسماة "الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف" في بيان خروج المهدي الذي دلت عليه الآثار:

أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف، ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلًا. ***ثم يقول:*** ونحن الآن في سنة ١٤١٨ من الهجرة، ولكننا في سنة ١٤٣٠ من البعثة، فنحن نعيش حقبة ما قبل النهاية، وفي مرحلة الاستعداد للفتن، والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى.

والرد على كتاب "عمر أمة الإسلام" لكاتبه أمين محمد جمال الدين:

أن الأحاديث التي استدل بها مجرد مثال، ***وقد قال إمام الحرمين كما نقل ذلك عنه الحافظ في "الفتح" (٣٩/٢):*** إن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال.

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- كما في "فتح الباري" له (٣٤١/٤):

"وهذا الحديث إنما ساقه النبي ﷺ مساق ضرب الأمثال، والأمثال مظنة التوسع فيها".

قال بعض العلماء: "المراد تشبيه مَن تقدم بأول النهار إلى الظهر والعصر، في كثرة العمل الشاق والتكليف، وتشبيه هذه الأمة بما بين العصر والليل فى قلة ذلك وتخفيفه، وليس المراد طول الزمن وقصره، إذ مدة هذه الأمة أطول من مدة أهل الإنجيل. وكان لهذه الأمة قيراطان من الأجر؛ لإيمانهم بموسى وعيسى مع إيمانهم بمحمد ﷺ؛ لأن التصديق عمل؛ **ويدل على ذلك قوله تعالى:**

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩]

وخلاصة القول في هذا: أن هذه الأحاديث إنما تدل على أنه ما بقي بالنسبة لما مضى شيء يسير، لكن لا يعلم مقدار ما مضى وما بقي إلا الله تعالى، ولم يجىء فيه تحديد يصح سنده.

وقد قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- كما في "فتح الباري" له (٤/ ٣٤٤):

"مدةُ الماضى من الدنيا إلى بعثة محمد ﷺ، ومدةُ الباقي منها إلى يوم القيامة لا يعلمه على الحقيقة إلا الله ﷻ وما يُذْكَرُ في ذلك، فإنما هو ظنونٌ لا تفيد علمًا. اهـ.

(نقلًا من كتاب "فقه أشراط الساعة" للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم باختصار)

وقال القرطبي -رحمه الله- في كتابه "التذكرة": إن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا، يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة، فلا يعلم أحد أي سنة هي ولا أي شهر؟، أما أن تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق فيها آدم فهذا قد صحَّ، لكن أي جمعة؟! لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله، وكذلك ما يكون من الأشراط، فإن تعيين الزمان بها لا يعلم. اهـ.

تنبيهان:

١- إذا صحَّ الحديث عن النبي ﷺ؛ فينبغي التفريق بين قول المعصوم ﷺ وبين اجتهاد العالم، أو الباحث في تفسيره، أو إسقاطه على الواقع، فقد يخطىء العالم في تحديد وقت حدوث شيء من الأشراط، أو يخطىء في ترتيبه الأحداث، أو يخطىء في فهم الحديث وتفسيره.

٢- ***وهناك حديث أخرجه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر:*** **" تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة[١] اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حيَّة يومئذ ".**

وفي رواية أخرى عن مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

" لما رجع النبي ﷺ من تبوك. سألوه عن الساعة، فقال رسول الله ﷺ: لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم".

وفي "الصحيحين" عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: **" صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء في آخر حياته، فلما سلَّم قال: أَرَأَيْتَكُم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائةِ سنةٍ منها لا يبقى ممَّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد".**

فظن البعض أن هذين الحديثين يدلان على تحديد يوم القيامة، وأنها ستكون بعد مائة عام.

والمتأمِّل في هذين الحديثين يجد أنهما يدلان دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ لم يرد في أقواله هذه قيام الساعة، وإنما أراد انقضاء القرن الذي هو فيه، أي أنه بعد مائة عام يموت كل من كان حيًا عندما قال الرسول ﷺ ما قال، وقد علم هذا المعنى ابن عمر -رضي الله عنهما- وعلمه للناس عندما ذهبوا مذاهب شتى في فهم معنى قول الرسول ﷺ، ***ففي سنن الترمذي وسنن أبي داود بعد سياق عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- لحديث الرسول ﷺ السابق، قال:*** **" فوهل الناس[٢] في مقالة الرسول ﷺ تلك، فيما يتحدثونه بهذه الأحاديث: نحو مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: لا يبقى ممَّن هو على ظهر الأرض أحدٌ، يريد بذلك: أن ينخرم القرن[٣]".**

١- نفس منفوسة: أي مولودة.
٢- الوهل: الفزع، أو ذهاب الفكر مذاهب بعيدة عن المراد.
٣- ينخرم القرن: أي ينقطع وينقضي، والقرن من الزمان: أهل زمان مخصوص.

وهذا ما فهمه ابن الأثير -رحمه الله- حيث قال كما في "جامع الأصول" (٣/٣٨٨):

والمعنى في الحديث: أن كل مَن هو موجود الآن - يعني ذلك الوقت إلى انقضاء ذلك الأمد المعين- يكونون قد ماتوا، ولا يبقى منهم على الأرض أحدٌ، لأن الغالب على أعمارهم لا يتجاوز ذلك الأمد الذي أشار إليه النبي ﷺ؛ فتكون قيامة أهل ذلك العصر قد قامت. اهـ.

وهذا ما يطلق عليه الساعة الوسطى كما مر بنا، ومما يدل على هذا: -

ما جاء في "صحيح البخاري، وصحيح مسلم" عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

" كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ، سألوه عن الساعة، متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم، فيقول: إن يَعِشْ هذا، إن يُدْرِكهُ الهَرَمُ، حتى قامت عليكم الساعة ".

- *وفي رواية:* " إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم ".

قال هشام: يعني: موتهم.

قال القاضي: **والمراد بساعتكم**: يعني موتهم، ومعناه: يموت ذلك القرن أو أولئك المخاطبون.

وفي "صحيح مسلم" عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

" أن رجلا سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هُنَيْهَة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أَزْدِ شَنُوءَة، فقال: إنْ عُمِّرَ هذا الغلام، لم يدركْهُ الهرم حتى تقومَ الساعةُ، قال أنس: وذلك الغلام من أترابي يومئذ[١] ".

والمراد بقول الرسول ﷺ: "**الساعة**" في هذين الحديثين "**ساعة المخاطبين**" كما فسَّر ذلك هشام أحد رواة الحديث الأول: يعني "**موتهم**"، فإن ساعة كل إنسان موته، وهذا الجواب من الرسول ﷺ يعرف بجواب الحكيم، فإنه أرشدهم إلى الاستعداد للموت والتأهُّب له، والموت قريب قريب.

١- والأتراب: جمع "تِرْب"، وهو المماثل في السن.

الوقفة السابعة: الساعة تأتي بغتة:

الساعة تباغت الناس وتفاجئهم، ودليل ذلك: -

ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ولتقُومنَّ الساعةُ وقد نشرَ الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقُومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمهُ، ولتقُومنَّ الساعةُ وهو يليط حوضهُ فلا يسقي فيه، ولتقُومنَّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها ".

وفي رواية عند مسلم:" تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه- أي فمه - حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يَلطُ في حوضه[١] فما يصدر حتى تقوم ".

الوقفه الثامنة: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق:

أخبر الحبيب ﷺ عن حال هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة بكل ما فيها من شدائد وأهوال، فبعد أن ذكر النبي ﷺ هلاك المسيح الدَّجَّال على يدي عيسى عليه السلام قال كما في "صحيح مسلم": " ثم يمكثُ الناسُ سبع سنين. ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يرسل الله ريحًا باردةً من قِبَل الشام؛ فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرةٍ من خير أو إيمان إلا قبضتْهُ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلَتْهُ عليه، حتى تقبضه، ثم قال ﷺ: فيبقى شرارُ النَّاسِ في خفَّة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا ولا يُنْكِرُون منكرًا. فيتمثَّل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان؛ وهم في ذلك دارٌّ رزقُهُم، حَسَنٌ عيشُهُم. ثم يُنْفَخُ في الصور...".

وفي "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" لا تقوم الساعة إلا على شرارِ النَّاس ".

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله... الله ".

١- يلط في حوضه: أي يُطينه ويُصلحه.

الوقفة التاسعة: لا تقوم الساعة حتى تظهر أشراطها:

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد:١٨]

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كما في "فتح الباري" (٧٩/١٣):

هي العلامات التي يعقبها قيام الساعة

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تبيّن أنه لا تقوم الساعة حتى يظهر كذا وكذا

- ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:***

" لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل... القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض ".

- ***وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:*** **" لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: ياليتني مكانه ".**

- ***وعند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:*** **" لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجّالون كذّابون قريب من ثلاثين، كلٌّ يزعم أنه رسول الله ".**

- ***وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:*** **" لا تقوم الساعة حتى يظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق".**

- ***وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:*** **" إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار، ويرفع الأشرار".**

- ***وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:*** **" من أشراط الساعة أن يَقلَّ العلم ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال؛ حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ".**

- ***وعن جابر رضي الله عنه:*** **" هاجت ريحٌ حمراءُ بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيرَى إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد – وكان متكئًا –، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفْرَحَ بغنيمة، ثم قال بيده هكذا، ونحاها نحو الشأم، فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهلُ الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم...".** (والحديث رواه مسلم)

فتأمل كيف أنكر ابن مسعود رضي الله عنه غُلوَّه في توقع قيام الساعة إلى حدِّ القَطْعِ بأنها (جاءت) بالفعل، دون اعتبار لما قبلها من الأشراط.

إشكال والرد عليه:

عن أبي موسى ﷺ قال: **" خسفتِ الشمسُ، فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلَّى بأطول قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ، ما رأيته قط يفعله، وقال: هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته؛ ولكن يُخَوِّف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكرِه ودعائِه واستغفارِه ".**

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في "فتح الباري" (٢/٥٤٦):

"يُشكِل هذا الحديث من حيث إن للساعة مقدِّمات كثيرة لم تكن وقعت، كفتح البلاد، واستخلاف الخلفاء، وخروج الخوارج، ثم الأشراط: كطلوع الشمس من مغربها، والدابة، والدَّجَّال، والدخان... وغير ذلك.

ويجاب عن هذا:

١- باحتمال أن تكون قصة الكسوف وقعت قبل إعلام النبي ﷺ بهذه العلامات.

٢- أو لعله خشي أن يكون ذلك بعض المقدِّمات.

٣- أو أن الراوي ظن أن الخشية لذلك، وكانت لغيره، كعقوبة تحدث؛ كما كان يخشى عند هبوب الريح[1] ، هذا حاصل ما ذكره النووي تبعًا لغيره، ***وزاد بعضهم:***

٤- أن المراد بالساعة: غير يوم القيامة، أي: الساعة التي جُعلت علامة على أمر من الأمور، كموته ﷺ ... أو غير ذلك

ثم طفق الحافظ -رحمه الله- يُعَلِّق على هذه الأقوال، فقال: وفي الأول نظر؛ لأن قصة الكسوف متأخرة جدًا، فقد تقدَّم أن موت إبراهيم كان في العاشرة، كما اتفق عليه أهل الأخبار، وقد أخبر النبي ﷺ بكثير من الأشراط والحوادث قبل ذلك. وأما الثالث، فتحسين الظن بالصحابي يقتضي أنه لا يجزم بذلك إلا بتوقيف. وأما الرابع، فلا يخفى بُعْدَهُ.

وأقربها الثاني، فلعله خشي أن يكون الكسوف مقدمة لبعض الأشراط: كطلوع الشمس من مغربها، ولا يستحيل أن يتخلل بين الكسوف والطلوع المذكور أشياء ممَّا ذكر، وتقع متتالية بعضها إثر بعض، مع استحضار قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧]

١- وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت:"وكان ﷺ إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرِف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا؛ رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفتُ في وجهك الكراهية؟ فقال: يا عائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذِّب قومٌ بالريح، وقد رأى قومٌ العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا" (رواه البخاري:٨/٤٤١) و(مسلم:٢/١٦ ص٦١٦)

وقالت أيضًا-رضي الله عنها-: "كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح، قال: اللهم، إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أُرسلت به، قالت: وإذا تخيَّلت السماء تغيَّر لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّي عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا} [الأحقاف:٢٤]" (أخرجه مسلم: ١٥/٢، ص٦١٦)، - وقولها تخيَّلت السماء: أي تغيَّمت، وتهيأت للمطر.

٥- ***وقيل:*** لعله قدَّر وقوع الممكن لولا ما أعلمه الله تعالى بأنه لا يقع قبل الأشراط، تعظيمًا منه لأمر الكسوف؛ ليتبين لمَن يقع له من أمته ذلك كيف يخشى ويفزع، لا سيما إذا وقع لهم ذلك بعد حصول الأشراط او أكثرها.

٦- ***وقيل:*** لعل حالة استحضار إمكان القدرة غلبت على استحضار ما تقدم من الشروط، لاحتمال أن تكون تلك الأشراط كانت مشروطة بشرط لم يتقدَّم ذكره؛ فيقع المخوف بغير أشراطٍ، لفقد الشرط، والله ﷻ أعلم. (اهـ كلامه -رحمه الله-)

تنبيهان:

١- كما أنه لا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعة؟، فكذلك لا يعلم أحد متى تظهر أشراط الساعة؟، وما ورد في بعض الكتب أنه في سنة كذا سيكون كذا وكذا؛ فهذا ليس بصحيح، فإن التاريخ لم يوضع في عهد النبي ﷺ ، وإنما وضعه عمر بن الخطاب ﷺ اجتهادًا منه، وجعل بدايته هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.

قال القرطبى -رحمه الله-:

"إن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن، أن ذلك يكون تعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة، فلا يعلم أحد أي سنة هي ولا أي شهر؟، أما إنها تكون في يوم جمعة فهذا وارد – ولكن أي جمعة؟ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده-. اهـ بتصرف

٢- ***قول بعض أهل العلم عن علامة من علامات الساعة:*** بأنها لم تحدث، لا ينفي حدوثها في مكان أو زمان غير مكانه أو زمانه، بل قد يقول العالم القول اليوم ثم يستبين له خطؤه بعد ذلك، فلا حرج عليه أن يرجع إلى الصواب ويعترف بخطئه، فإن مَن عَلِمَ حُجَّة على مَن لم يعلم، وإن المثبت مقدم على النافي. (انظر أشراط الساعة ليوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل)

الوقفة العاشرة: لا حرج في ترقُّب حصول شيء من أشراط الساعة:

طالما أن المرء لم يُخِل بشيء من التكاليف الشرعية.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث النواس بن سمعان ﷺ قال: **" ذكر رسول الله ﷺ الدَّجَّال ذات غداة؛ فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدَّجَّال غداة، فخفضت فيه ورفعت؛ حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدَّجَّال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم ".**

وقد شك البعض في ابن صياد أنه المسيح الدَّجَّال.

الوقفة الحادية عشرة: النبي ﷺ يُبيِّن لأمته ما سيكون إلى قيام الساعة:

وهذا من رحمة الله بهذه الأمة.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ قال:

" صلَّى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلَّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلَّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمسُ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فَأَعْلَمُنَا احْفَظُنَا ".

وأخرج البخاري عن حذيفة ﷺ قال: **" لقد خطبنا النبي ﷺ خُطبةً ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، عَلِمهُ مَن عَلِمَه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته، فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرفه ".**

الوقفة الثانية عشرة: ما أشْكَلَ عليك، فكِلْه إلى عالِمِه:

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣].

وفي الحديث: " **إنما شفاءُ العِيِّ السؤالُ**". (أخرجه أبو داود بسند ضعيف، وحسَّنه الألباني)

وهذا ما كان يفعله السلف الصالح – رضوان الله عليهم –

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" عن أبي الطفيل قال: " **كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدَّجَّال! فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث: فقلت: هذا الدَّجَّال قد خرج! فقال: اجلس فجلستُ، فأتى عليَّ العريف[1] فقال، هذا الدَّجَّال قد خرج وأهل الكوفة يطعنونه. قال: اجلس فجلس؛ فنودي إنها كذبة صباغ. فقلت: يا أبا سريحة ما أجلستنا إلا لأمر فحدثنا، قال: إن الدَّجَّال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخذف، ولكن الدَّجَّال يخرج في بغض من الناس[2]، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فَيَرِدُ كلَّ مَنْهَل فتُطْوى له الأرض طيَّ فروة الكبش...**" [3] الحديث

- *وكان أبو حامد الغزالي –رحمه الله– يقول:*

"لو سكت مَن لا يعرف، قل الاختلاف، ومَن قصر باعه، وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع فما له وللتكلم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه؟! وحق مثل هذا أن يلزم السكوت" (الحاوي:١١٦/٢)

- ***قال بعض السلف:*** "الأمور ثلاثة: أمر استبان رُشْدُه فاتبعْه، وأمر استبان غيُّه فاجتنبه، وأمر أُشْكِل عليك، فَكِلْهُ إلى عالمه.

- *وقال الحسن عند قوله تعالى:* ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة:١٢١] يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابِهِه، ويَكِلون ما أشكل عليهم إلى عالمه". (مجموع الفتاوى:٣٨٦/١٧)

١- العريف: هو القيم بأمور الجماعة من الناس، والمسئول عن شئونهم.
٢- في بغض من الناس: أي تباغض وحسد ينتشر بينهم.
٣- قال الشيخ مصطفى العدوي – حفظه الله - تعليقًا على هذا الحديث: "وفي بعض رجاله كلام يسير، ففي إسناده معاذ بن هشام فيه كلام ينزل بحديثه إلى درجة الحسن، وفيه قتادة مدلس وقد عنعن، إلا أن الراوي عنه هو هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه. (انظر الصحيح المسند من الفتن والملاحم، وأشراط الساعة: ص ٥٠٧) ورواه عبد الرزاق في "مصنفه" عن معمر عن قتادة مرسلًا، وهو الصواب.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه، ونؤمن بمتشابهه. (الرسالة التدمرية: ص ٩٦)

والمتشابه من الحديث: ما يفتقر - للوصول إلى معناه المراد منه - إلى غيره.

والمحكم: هو الذي لا يُحتاج - للوقوف على معناه المراد منه - إلى غيره.

وحكم المتشابه أن يردَّ إلى المحكم ليبينه، ويزيل اشتباهه.

- **مثال الحديث المتشابه**

ما رواه ابن مسعود ﷺ أن رسول الله -رحمه الله- قال: **" ما من نبيٍّ بعثه الله في أمة قبلي؛ إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خُلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خردل ".** (رواه الإمام مسلم)

فقوله ﷺ: **"فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن".** من المتشابه، إذ ظاهره غيرُ مراد، والنصوص الآمرة بالصبر على جور الأئمة، وترك الخروج عليهم كثيرة محكمة، فيرد المتشابه إليها فإن ابن مسعود ﷺ نفسه قد روى مرفوعًا: **"اصبروا حتى تلقوني"**، ولهذا بيَّن ابن رجب -رحمه الله- أن قوله: **"فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن"**، لا يُراد به القتال، وإنما تغيير المنكرات التي فعلوها، أو المظالم التي يأمرون بها، لمَن كان له قدرة على ذلك وأَمِن تعدِّي الأذى إلى غيره من أهل أو جيران، ونقل نصَّ الإمام أحمد على ذلك. (جامع العلوم والحكم:٢/٢٤٨)

تنبيهات:

١- اعلم - رحمك الله - أنه ليس في نصوص الوحيين الشريفين ما هو مشكِل من حيث الواقع، بحيث لا يمكن أحدًا من الأمة أن يعرف معناه، وإنما الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي، يختلف فيه الناس بحسب ما عندهم من العلم والفهم، فما يكون مشكلًا عند شخص قد لا يكون كذلك عند آخر، بل يكون عنده واضحًا جليًّا. (مجموع الفتاوى: ١٧/٣٠٧)

وهناك أمثلةٌ لما يُشْكَلُ على بعض الناس في باب أشراط الساعة، وجوابُ العلماء عنها: -

أ- ذكر فتح القسطنطينية عقب الملحمة، وقبيل خروج الدَّجَّال، مع أنها فتحت على يد محمد الفاتح العثماني، والجواب: إنه فتحٌ آخر غير الفتح الأول كما سيأتي في أشراط الساعة الصغرى.

ب- جفاف بحيرة طبرية الذي ذُكر في حديث الجساسة على أنه أحد مقدمات خروج الدَّجَّال، وقد جفت بحيرة طبرية الآن أو كادت، وقد نشر في السبعينيات بجريدة الأخبار (٧٣/٩/٢٨) صورة فتاة تقف على أرض البحيرة الجافة وقد تشقَّقت، وكتب عليها: "وجفَّت المياه في بحيرة طبرية".

وهذا لا يعني بالضرورة تحقق تلك العلامة؛ لأن من المحتمل أن تمتلىء البحيرة من جديد، ثم تجف قبل ظهور الدَّجَّال، أو قد تبقى جافة مدة يعلمها الله إلى ظهور الدَّجَّال؛ وعليه؛ ***فلا يشكل قول الدَّجَّال:*** "**أما إن ماءها يوشك أن يذهب**"، لأن القرب هنا نسبيٌّ كما تقدَّم.

بل قد ثبت في الحديث أن يأجوج ومأجوج: "**يمر أوائلُهُمْ على بحيرةِ طَبَرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرَّة ماء** ". (رواه مسلم)

ومعلوم أن خروجهم إنما يكون بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدَّجَّال.

٢- ورد وصف الأسلحة التي تستعمل في حروب آخر الزمان، ففي الملحمة الكبرى " **خيول وفوارس**" (مسلم)، وفي فتح القسطنطينية (الثاني):" **قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون**"(مسلم)، وبعد هلاك يأجوج ومأجوج: "**سيوقد المسلمون من قِسِيِّهِم ونُشَّابِهِم**[1] **وأترستهم سبع سنين**".

(رواه ابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة:١٩٤٠)

- ***وفي حديث أن النبي ﷺ قال:***"... **حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله...**". الحديث

(أخرجه الإمام أحمد والحاكم)

وكذلك قال النبي ﷺ عن ذي السويقتين الذي يهدم الكعبة:"**يضرب عليها بمسحاته ومِعْوله**". (رواه الإمام أحمد)

وعندما تكلَّم النبي ﷺ عن فرسان الطليعة في الملحمة الكبرى فقال:"**إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ**". (رواه الإمام مسلم وأحمد)

وعند فتح القسطنطينية الثاني قال النبي ﷺ:" **فإذا جاءوها نزلوا؛ فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم** ". (رواه الإمام مسلم)

١- النُّشَّاب: النَّبْل، واحدته: نُشَّابة.

- كذلك يأجوج ومأجوج" **يرمون بنشابهم إلى السماء**". -*وفي رواية:*" **فيرمون بسهامهم في السماء؛ فترجع مخضبةً بالدماء**". (رواه أحمد والترمذي)

وقد حاول بعض العلماء الإجابة عن هذا؛ فقالوا: "إن هذه الأحاديث، وأحاديث مشابهة كثيرة تدل على ان هذه الحضارة الهائلة التي اخترعت هذه القوة الهائلة من القنابل، والصواريخ؛ ستتلاشى وتزول، وأغلب الظن أنها ستدمر نفسها بنفسها، وأن البشرية ستعود مرة أخرى إلى القتال على الخيول، واستعمال الرماح والقسي... ونحو ذلك، والله أعلم. (القيامة الصغرى: ص ٢٧٥)

وذكر البعض: أن منابع البترول قد تجف؛ وتصبح جميع الأسلحة المتطورة بلا قيمة.

في حين يرى البعض الآخر أن هذا لا يعني أن الحرب ستدور بالخيول والسيوف؛ لأن الخيول رمز المعدات الحربية أيًّا كان نوعها؛ ولأن النبي ﷺ كان يُخاطب أهل زمانه على قدر عقولهم وعلمهم.

وقد يُستَدل لهذا الرأي بحديث: "**أسرعْكُنَّ لِحاقًا بي: أَطْوَلْكُنَّ يدًا**"[١] إذ فُهِم المراد منه بعد حصوله، والله تعالى أعلم.

٣- اعلم - رحمك الله تعالى - أن كون الشيء من أشراط الساعة لا يستلزم الحكم عليه، أو الاستنباط منه بحكم تكليفي؛ لأن النصوص الواردة في الفتن وأشراط الساعة قد تخبر بأمور واقعة لا محالة كونًا وقدرًا، لكنها محظورة شرعًا، كسفر المرأة بغير محرم - مثلًا - ممنوع شرعًا لكنه واقع قدرًا، **كما في الحديث**: ***عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال:*** "**بينا أنا عند النبي ﷺ ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك الحياة لترينَّ الظعينة[٢] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدًا إلا الله، قلت - فيما بيني وبين نفسي-: فأين دُعَّارُ طيِّءٍ الذين قد سعَّروا البلاد؟...**". (والحديث رواه البخاري وأحمد)

وعليه: فلا يصح الاستدلال بمثل هذا النص على إباحة سفر المرأة بدون محرم، الذي دلت الأحاديث الصحيحة على تحريمه.

١- والحديث رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "أسرعْكُنَّ لحاقًا بي: أطولكن يدًا، قالت: فكُنَّ يتطاولن أيتهن أطول يدًا، قالت: فكانت أطولنا يدًا: زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتَصَدَّقُ". فقولها -رضي الله عنها-: "فكانت أطولنا يدًا زينب". معناه: أنهن ظَنَنَّ أن المراد بطول اليد: طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكُنَّ يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يدًا في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود، قال أهل اللغة: فلان طويل اليد، وطويل الباع إذا كان سمحًا، وضدَّه: قصير اليد والباع، وجَعْد الأنامل: أي البخيل اللئيم.

٢- الظعينة: هي المرأة.

٤- من السفه الذي أصيب به البعض أنه يبتهج بانتشار الفساد والظلم في الأرض، بل ويتمنى ذلك ويفرح كلما كان الفساد في ازدياد، بحجة أن هذا يعجل بخروج المهدي الموعود، بل ربما قام البعض عمدًا بقتل الأبرياء، وسفك الدماء، والإفساد في الأرض كما يفعل الروافض في أهل السنة في العراق، ويعللون ذلك بأن هذا وسيلة لتعجيل خروج المهدي... انظر كيف تتلاعب بهم الشياطين؟!

أما عَلِمَ هؤلاء أن الله تعالى لا يحب الفساد وحرم قتل الأبرياء؟

٥- يجب مراعاة أحوال الناس عند التحدث إليهم عن أشراط الساعة، فليس كل ما يُعلمُ يقال، فربما يكون الحديث عن أشراط الساعة والأمور الغيبية بالنسبة لبعض العوام أو حديثي الإسلام فتنة لهم؛ لأنهم ربما لا تستوعب عقولهم ما يسمعون، فيُكذِّبون ما يسمعون.

فقد أخرج البخاري عن عليٍّ ﷺ قال: **" حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله ".**

قال الشاطبي -رحمه الله- في الموافقات (٥/٣٦) معلقًا على هذا الحديث:

فجعل إلقاء العلم مقيدًا، فرب مسألة تصلح لقوم دون قوم

وعند مسلم بلفظ آخر وفيه: **" أيها الناس، تحبون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولُهُ؟ حدِّثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون ".**

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ كما في "مقدمة صحيح مسلم": **" ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم؛ إلا كان لبعضهم فتنة ".**

الوقفة الثالثة عشرة: ثمرات وفوائد الإيمان بأشراط الساعة والمغيبات المستقبلة:

١- تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته، كما أنه من الإيمان بالغيب، وقد مدح الله ووصف عباده المتقين، **فقال في كتابه الكريم:**

﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١،٢]، وكان أول صفاتهم وأهمَّها: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣]

وأخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ: **" أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مني دماءَهُم وأموالَهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله ".**

وفي "الصحيح": أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة، وأن النبي ﷺ قال في آخره: **" فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ".** (رواه مسلم)

والشاهد أنه عدَّ ما يتعلق بأمارت الساعة من الدين.

٢- وقوع تلك المغيبات على النحو الذي حدثت به الأخبار يثبت الإيمان ويقويه، فالمسلمون في كل عصر يشاهدون وقوع أحداث مطابقة لما أخبرت به النصوص الصادقة، فقد شاهد الصحابة انتصار الروم على الفرس، ثم انتصر المسلمون على الفرس والروم، وظهر الإسلام على جميع الأديان، وشاهدوا فرقة الأمة كما أخبر الرسول ﷺ. وغير ذلك من الأحداث على النحو الذي أخبرت به النصوص، ولا شك أن هذا له أثر كبير في تثبيت المؤمن على إيمانه، وقد يكون ذلك مدخلًا لدعوة الآخرين إلى هذا الحق الذي جاءنا من ربنا.

كما قال تعالى عن المؤمنين في غزوة الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]

أضف إلى ذلك إقامة الحجة على الكافرين، وإقناعهم بصدق نبوة ورسالة محمد ﷺ إلى العالمين

٣- إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه [١] واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع وكائنات، وإذا كان الإسلام سدَّ طُرُق الدَّجَّالين الذين يدعون الاطلاع عليها: كالمنجمين، والعرَّافين والكهان... ونحوهم؛ إلا أنه – استجابة لأشواق الفطرة – أطلعنا – من خلال نافذة الوحي – على كثير من هذه الأحداث. (المقدمة لابن خلدون: ص ٥٨٨)

إن إخفاء وقت الساعة له أثر بليغ في إصلاح النفس البشرية، فالأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفجؤه، يجعل المرء مترقبًا له، متشوقًا إليه؛ لأن المجهول عنصر أساسيٌّ في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شيء مكشوفًا لهم– وهم بهذه الفطرة – لَوَقَفَ نشاطهم، وأسنت حياتهم (قاله صاحب الظلال)

١- وهذا ما يعبر عنه علم النفس بحب الاستطلاع Curiosity، ويقولون في تعريفه: "ميل يدفع الفرد إلى المعرفة، وخاصة معرفة الجديد من الأمور والأشياء، وإلى استطلاع كل غريب، ومعرفة المزيد عنه بالبحث والتقصي، واكتشاف المجهول، وفض غموضه".
ويكمن حب الاستطلاع وراء ثراء المعرفة البشرية ونموها، وتقدم الاختراعات والصناعات، ويميل البعض إلى اعتبار حب الاستطلاع "غريزة" ودافعًا فطريًا موروثًا تستثيره المواقف والأشياء الغامضة أو المجهولة. (انظر موسوعة علم النفس د/ فرج طه: ص ٢٩٧- ٢٨٩).

٤- قد تمر بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو تُرِك المسلمون إلى اجتهادهم؛ فإنهم قد يختلفون، وربما يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجبًا لابد منه، وعدم البيان يكون نقصًا تُنَزَّهُ الشريعة عنه.

فمن ذلك: أن رسول الله ﷺ أخبر أن الدَّجَّال يمكث في الأرض أربعين يومًا، يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ عن تلك الأيام الطويلة: أتكفي في الواحد منها صلاة يوم؟ فقال ﷺ: " **لا، اقدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ** " ولو وُكِّل العباد إلى اجتهادهم، لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان، وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري؛ لأن عيسى يحكم بالشريعة الإسلامية، وهذه الشريعة الإسلامية فيها قبول الجزية ممَّن بذلها إلى حين نزول عيسى ابن مريم، وحين ذاك تُوضع الجزية، ويُقتَل كل مَن رفض الإيمان ولو بذل الجزية. (القيامة الصغيرى للأشقر: ص ١٣٢بتصرف)

كما أن نص رسول الله ﷺ على صفات معينة لأشخاص معينين، كالمهدي مثلًا، يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدَّجَّالين المدعين المهدية، حتى لا نتورط في فتنتهم.

٥- تعلُّمُ الكيفية الصحيحة التي دلنا عليها رسول الله ﷺ كي نتعامل بها مع بعض الأحداث المقبلة التي قد يلتبس علينا وجه الحق فيها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: " **كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فنزلْنَا منزلًا..** "الحديث ***وفيه:*** " **إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلَمُهُ لهم، وينذرهم شر ما يعلَمُهُ لهم، وإن أمتكم هذه جُعِلَ عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة؛ فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه... هذه، فمَن أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النار ويدخل الجنة؛ فلتأته مَنِيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يُؤْتَى إليه، ومَن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه؛ فليطعه ما استطاع، فإن جاء الآخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر".**

لقد نصح رسول الله ﷺ أصحابه الذين عاصروه نصائحَ انتفعوا بها كثيرًا:

- فقد بَشَّرَ عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوَى تصيبه.
- وأخبر عمارًا رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية.
- وأمر أبا ذر رضي الله عنه بأن يعتزل الفتنة، وألا يقاتل، ولو قُتِلَ.
- وكان حذيفة رضي الله عنه يسأله عن الشر مخافة أن يدركه، ودلَّه ﷺ كيف يفعل في الفتن.
- ونهى المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي سوف ينحسر عنه الفرات.
- وبصَّر أمته بفتنة الدَّجَّال، وأفاض في وصفها، وبيَّن لهم ما يعصمهم منها، ***ومن ثم قال***

عبد الرحمن المحاربي: "ينبغي أن يُدْفَع هذا الحديث – حديث أبي أمامة رضي الله عنه في شأن الدَّجَّال – إلى المؤدب حتى يُعَلِّمَه الصبيان في الكتاب" (رواه ابن ماجه)

وقال السفاريني –رحمه الله– كما في "لوامع الأنهار البهية" (٢/١٠٦):

مما ينبغي لكل عالم: أن يبث أحاديث الدَّجَّال بين الأولاد والنساء والرجال، ولاسيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن. اهـ

٦– الحث على التوبة والاستعداد ليوم المعاد:

فقد أخرج البخاري ومسلم في حديث جبريل المشهور أنه قال لرسول الله ﷺ:

" **فأَخْبِرني عن الساعة، فقال ﷺ: ما المسئولُ عنها بأعلمَ من السائل، قال: فأخبرني عن أمارَاتها**" . ***وفي رواية قال:*** "**ما المسئولُ عنها بأعلمَ من السائل، ولكن سأُحدِّثُك عن أشراطها...**". الحديث.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في "فتح الباري" (١١/٣٥٠):

"والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظُ الغافلين، وحثُّهم على التوبة والاستعداد" اهـ

ونقل القرطبي –رحمه الله– في كتابه "التذكرة" (ص ٦٢٤) عن العلماء قولهم:

"والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها: تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يُبَاغَتُوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعودة بها، وتلك الأشراط علامةٌ لانتهاء الدنيا وانقضائها. والله أعلم اهـ.

ويتضح ممَّا سبق أن الإيمان بأشراط الساعة يُحَفِّز على الاجتهاد في الأخذ بأسباب النجاة، واستفراغ الوُسْع في الاستعداد للقاء الله تعالى بالأعمال الصالحة.

وممَّا يدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدَّجَّال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة ".

وفي رواية: **" بادروا بالأعمال ستًا: الدَّجَّال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخُويصة أحدكم ".**

وفي قول الرسول ﷺ: **" أو خاصة أحدكم"** ***وفي رواية:*** **"خويصة"** وهي تصغير خاصة الإنسان، وهي ما يَخُصُّهُ دون غيره، وأراد به الموت الذي يخصه، ويمنعه من العمل، إن لم يبادر به قبله.
(جامع الأصول:١٠/٤١٢)

وقال القاضي -رحمه الله-:

أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات، فإنها إذا نزلت أدهشت، وأشغلت عن الأعمال، أو سُدَّ عليهم باب التوبة، وقبول العمل. (فيض القدير:٣/١٩٤)

وقال الضحَّاك: والحكمة من تقدُّم الأشراط: إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد.

وأخرج البخاري في "التاريخ الكبير" وابن ماجه وأحمد عن البراء بن عازب ﷺ قال:

" بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بَصُرَ بجماعة، فقال: علام اجتمع عليه هؤلاء؟ قيل: على قبر يحفرونه، قال: ففزِعَ رسول الله ﷺ فبَدَرَ بين يَدَيْ أصحابه مُسْرِعًا، حتى انتهى إلى القبر، فجثا عليه، قال البراء: فاستقبلتُهُ بين يديه؛ لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثَّرَى من دموعه ثم أقبل علينا، ثم قال: أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعِدُّوا". (الصحيحة:١٧٥١)

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا".**

وأخرج البخاري عن أم سلمة -رضي الله عنها-:

" أن النبي ﷺ استيقظ ليلةً، فقال: سبحان الله، ماذا أُنْزَل الليلة من الفتنة؟ ماذا أُنْزَل من الخزائن؟ مَن يُوقِظُ صواحبَ الحُجُرَات؟ يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة ".

فقوله ﷺ: **"مَن يُوقِظُ صواحبَ الحُجرَات؟"**... إلخ؛ يُفْهَم منه إيقاظهن للصلاة والتهجد؛ لمدافعة الفتن، **كما قال تعالى:** ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:٤٥].

تنبيه (١):

لا شك أنه كلما تقدَّم الزمن؛ فإنا نصير أقرب إلى الأشراط التي لمَّا تقع، وهذا يستوجب مزيدًا من الحذر والاستعداد، ولعل أخطر هذه الأشراط: طلوع الشمس من مغربها، **وهو المقصود بقوله تعالى:**

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨]

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا ".

وفي رواية عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: **" لا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلَت التوبة، ولا تزالُ التوبةُ مقبولة حتى تطلعَ الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبِعَ على كل قلبٍ بما فيه، وكفى الناسُ العملَ ".**

قال ابن كثير -رحمه الله- في" تفسيره" (٣/٣٧١):

إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يُقبلُ منه، فأما مَن كان مؤمنًا قبل ذلك، فإن كان مصلحًا في عمله، فهو بخير عظيم، وإن كان مُخَلِّطًا فأحدث توبة؛ حينئذ لم تقبل منه توبة. اهـ

فهذا غاية أجل التوبة في حق عمر الدنيا، أما غايته في حق كل إنسان؛ ***فبيَّنه قول النبي ﷺ:***

" إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر" أي: ما لم تبلغ رُوحُه حُلْقُومَهُ.

- وعليه فإن الواجب على المؤمن أن يُميِّز بين ما يعْنِيه وما لا يعْنِيه، ***وقد قال رسول الله ﷺ:***

" إن من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يُعْنِيه ".

ومن صور اشتغال المرء بما لا يعْنِيه أن يديم البحث: متى الساعة؟ مع أنه غيبٌ استأثر الله بعلمه، وإنما اشتغاله بما يعنيه في هذا الباب، أن يجتهد في الإعداد للساعة والتهيؤ لها، وبخاصة الساعة الخاصة به، وهي لحظة موته؛ ***ولذلك لمَّا سأل رجل النبي ﷺ:***

"يا نبي الله، متى الساعة؟ ***لم يلتفت النبي ﷺ إلى سؤاله؛ وأرشده إلى الاشتغال بما يعنيه، وهو قوله ﷺ:*** **"ما أعددت لها...".** الحديث

١- فقه أشراط الساعة لفضيلة الشيخ/ محمد بن إسماعيل المقدم.

الوقفة الأخيرة: أن أشراط الساعة تنقسم إلى قسمين: صغرى وكبرى:

فالعلامات الصغرى تؤذن بقرب الساعة، وهي تتقدم الساعة بأزمان بعيده نسبيًا، وتكون في أصلها معتادة الوقوع، وقد تقع في مكان دون مكان، ويشعر بها قوم دون قوم، ومنها ما قد ظهر وانقضى، كبعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر... وغير ذلك، ومنها ما قد ظهر ولا يزال يتتابع: كظهور الفتن، وكثر القتل... وغير ذلك، ومنها ما لم يظهر بعد: كانتفاخ الأهلة، وتكليم السباع والجماد للإنسان.... وغير ذلك

أما العلامات الكبرى فهي تُؤْذِنُ بوقوع الساعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع، ولها تأثير كبير، ويشعر بها جموع الناس: مثل خروج الدَّجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور يأجوج ومأجوج... وغير ذلك.

وقد اختلف العلماء في عددها وترتيبها، واختلافهم في العدد إلى سببين: -

الأول: اختلافهم في صحة سند الحديث، فمَن تساهل، زاد في عددها، ومَن تشدَّد ودقَّق؛ وجدها أقل.

والثاني: اختلافهم في تصنيف بعض الأشراط بين الصغرى والكبرى، فظهور المهدي مثلًا عدَّه بعضهم من الصغرى، ورآه آخرون من الكبرى، ***كما ذهب قوم إلى:*** أن طلوع الشمس من مغربها أول الأمارات الكبرى، ورأى آخرون أن أولها الدَّجَّال.

وكثير ما يحدث لدى الكلام عن الساعة وأشراطها، وعمَّا يكون بعدها، أن يطوي بعضُ الرواة بعض المشاهد، أو يفهم بعضهم عمَّن حدثه فهمًا خاصًا، فيصوغه بعبارته، فيحدث لبس أو وهم.

- أما اختلافهم في تسلسل وقوع بعضها أحيانًا، فسببه عدم وجود نص صريح يبيِّن ترتيبها حسب وقوعها، ولاسيما الكبرى، وقد جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب غالبًا، فقد عطفت بـ(الواو)، أو بـ(أو) وكلاهما لا يفيد الترتيب، بل إن الحديث الواحد ليختلف ترتيبه بين رواية ورواية، ***فحديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه وفيه قوله ﷺ:*** "**إنها - أي الساعة - لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات: فذكر الدخان، والدَّجَّال، والدابة**".

(والحديث رواه مسلم عنه بلفظين مختلفين في الترتيب، رقم: (٢٩٠١) (٤/٢٢٢٥)

وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "**بادروا بالأعمال ستًا**"، (والحديث رواه مسلم:(٢٩٤٧)(٤/٢٢٦٧)

وإحدى الروايتين بـ(الواو)، والأخرى بـ(أو) وهما لا يدلان على الترتيب، إلا أن تسلسل بعضها يقيني، فقد ذكرت بعض الروايات الأشراط مرتبة حسب وقوعها.

(كما في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، والحديث رواه مسلم رقم:(٢٩٣٧)، (٤/٢٢٥٥)

ومن ناحية أخرى، فإن بعض الروايات ذكرت ان أول الآيات كذا وبعضها ذكر أن أول الآيات غير ذلك، وقد حاول العلماء الجمع والتوفيق بين الروايات بأن الأولية بينهما نسبية، أو من ناحية مخصوصة

ففي حديث عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما-: **" أن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى...".** الحديث

أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وهي مخالفة للعادات المستقرة، فطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية، وخروج الدابة أول الآيات الأرضية، وهما العلامة الأولى لتغيير أحوال الكون، وقرب قيام الساعة.

وأكثر الخلاف إنما هو في الأشراط الكبرى، أما الصغرى، فأكثرها يُعرف ترتيبه من خلال حدوث بعضها إثر بعض. (انظر المسيح المنتظر ونهاية العالم: ص ٨، ٩)

تنبيه:

من أشراط الساعة ما قطعت النصوص بتعيين ترتيبها مثل الدَّجَّال، يليه نزول المسيح عليه السلام، **يليه يأجوج ومأجوج.**

ومثل قوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود وحسنه الألباني رقم (٣٦٠٩) وفيه:

" عمران بيت المقدس: خراب يثرب، وخراب يثرب: خروج الملحمة، وخروج الملحمة: فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية: خروج الدَّجَّال ".

ومنها مقدمات إجمالية ذُكرت دون تعيين ترتيبها بالنسبة لما يتوقع من الأشراط: كانحسار الفرات عن جبل من ذهب، وعودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا... ونحو ذلك.

وبعد هذه المقدِّمة عن أشراط السَّاعة؛ بقي لنا أن نتكلم عن أشراط السَّاعة الصغرى بأقسامها الثلاث، ثم نُتْبِع الكلام عن أشراط السَّاعة الكبرى – بمشيئة الله تعالى-.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك